منهج القرآن الكريم في إرساء دعائم التسامح الديني- رؤية تنزيلية

د. أمين عبيد فهمي مهدي. [١]

aminmahdy@art.sohag.eg

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الطرق التي سلكها القرآن في ترسيخ ركائز التسامح الديني في إطار رؤية تحترم حق الآخر في الرأي والفكر والعقيدة.

خلصت الدراسة إلى أن منهجية القرآن في إرساء دعائم التسامح الديني تتمثل في خمسة طرق، أولاً: إثبات القرآن أن التنوع الديني سنة كونية، وذلك يقتضي النظر إلى التنوع الديني بعين القَدَر، والتعارف والتعاون في ضوء القيم المشتركة، والتعايش بالحسنى، احترام الإنسانية وعدم الانتقاص من قدرها، ثانيًا: التسامح الديني من أهم جوانب النزعة الإنسانية، وذلك للتأكيد على الوحدة الإنسانية، والدعوة إلى الائتلاف حول المشتركات الدينية والإنسانية، وإقرار المشاركة المجتمعية مع أهل الكتاب، ثالثًا: الحث على البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة، ومن صوره التضامن الاجتماعي مع أهل الرسالات السماوية، والتزام العدالة والإنصاف مع أهل الرسالات السماوية، والحرص على الصلة ورفض القطيعة، رابعًا: الاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده، ومن صوره عدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام، وفتح قنوات الحوار والتواصل الفعَّال، وإتاحة الفرصة للمخالف للتعبير عن رأيه، خامسًا: النهي عن ازدراء الأديان، وذلك بمقتضى وجوب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفريق بين أحد منهم، والنهي عن سب آلهة المشركين، وحرية الاعتقاد والارتقاء العقلي. وكل طريق من هذه الطرق الخمسة بمثابة دعامة تحقق التسامح الديني.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التسامح، الدين، الإنسانية، التنوع.

---

(١) مدرس الدراسات الإسلامية بكلية الآداب- جامعة سوهاج.

Abstract

This study aims to show the ways and methods used by the Qur'an to consolidate the pillars of cohabitation and coexistence within the framework of a Qur'anic vision that respects the right of the other to opinion, thought and belief. The study concluded that the methodology of the Qur'an in laying the foundations for religious tolerance is represented by five methods, one of which is: proving the Qur'an that religious diversity is a universal norm, and this requires looking at religious diversity with the eye of fate, acquaintance and cooperation in the light of common values, good coexistence, respect for humanity and non-discrimination worth it, The second: Religious tolerance is one of the most important aspects of humanism, in order to emphasize human unity, call for coalition around religious and human commonalities, and endorse community participation with the People of the Book. Commitment to justice and fairness with the people of the heavenly messages, keenness on connection and rejection of estrangement. The fourth of them: recognizing the violator, his existence and his belief, and one of its forms is not forcing anyone to convert to Islam, opening channels of dialogue and effective communication, and giving the opportunity for the violator to express his opinion, and the fifth of them: the prohibition of contempt for religions, in accordance with the necessity of believing in all messengers and not discriminating between any of them, and forbidding Cursing the gods of the polytheists, freedom of belief and mental uplift.

Keywords: Quran, tolerance, religion, humanity, diversity.

****

مقدمة

الحمد لله الكبير المتعال، له الأسماء الحسنى والصفات العليا والمجد والكمال، نحمده ونستعينه ونستهديه، فإنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّ اللهم وبارك عليه وعلى آله أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١]،﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]،﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣]، وبعد...

فإن التسامح منهجٌ قرآنيٌ أصيلٌ، وممارسةٌ نبويةٌ، وثقافةٌ راسخةٌ في ذاكرة الأمة اصطبغت بها العلاقة بين المسلمين وغيرهم منذ نزول القرآن وعبر تاريخه الحضاري الطويل؛ يؤكد للبشرية جمعاء ضرورة الاهتمام بما تتفق عليه الرسالات الإلهية والكتب المنزلة على رسله – عليهم السلام– وغرس القيم الإنسانية السامية، وتركيز الجهود فيما ينفع الإنسان ويصون الإنسانية من الرذيلة والتفكك الأسري والمجتمعي.

والتسامح الديني كفيلٌ في تجاوز التحديات الراهنة، والأمة الإسلامية مدعوة للإسهام مع غيرها في مواجهة هذه التحديات بما يمتلكونه من المشترك الإنساني والرصيدِ الحضاريّ الذي لا غنى للبشرية عنه، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤] .

وبما أن القرآن الكريم هو رسالة الله للعالمين، وهو الذي أسس للتسامح، والحوار والتصالح؛ فإنه حري بنا أن نبحث عن منهجه في إرساء دعائم التسامح الديني؛ وهو ما دفعني إلى هذه الدراسة تحت عنوان: "منهج القرآن الكريم في إرساء دعائم التسامح الديني".

أسباب اختيار الموضوع:

أولًا: الكشف عن منهجية القرآن في إرساء دعائم التسامح الديني.

ثالثًا: إبراز حقيقة التسامح باعتباره من أهم قيم المشترك الإنساني.

ثالثًا: التأكيد على أن القرآن أعظم مرجعية لتقديم الحلول للمشكلات التي تواجه البشرية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات متعلقة بمنهج القرآن في إرساء دعائم التسامح الديني، وإنما وقفت على بعض الدراسات التي لها صلة بموضوع البحث، ومنها الآتي:

١- التسامح تجاه الآخر المسيء في القرآن الكريم، بحث مختصر، للباحث: مختار خواجه، مجلة أديان(نشر مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان) العدد ١٢، مايو ٢٠١٩م، من ص ١٠٤ إلى ص ١١٥. وقد ركز على جانب واحد محدد؛ وهو التسامح تجاه المسيء من خلال الإعراض عنه، والعفو وفتح أبواب الحوار معه.

٢- التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد "دراسة مقارنة"؛ رسالة ماجستير للباحث: عبد الله محمد أحمد ربابعة، من كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت- الأردن، ٢٠٠٦م. وقد غلب على البحث طابع المقارنة، فغفل الباحث عن الكثير من الأمور التي تبين منهجيته القرآن الكريم في إرساء دعائم التسامح الديني.

٣- آيات التسامح في القرآن، بحث محكم للباحث: سلام عبود حسن، منشور بمجلة الجامعة العراقية، المجلد ٣٤، العدد ١، ٢٠١٦م. تناول فيه الباحث مفهوم التسامح وصوره وأنواعه، إلا أنه لم يتطرق للحديث عن منهجية القرآن في إرساء دائم التسامح الديني.

٤- مفهوم التسامح الإسلامي وانعكاساته على واقعية التعايش السلمي، بحث للباحثة: رغد سليم، نشر مجلة بيت الحكمة، العدد ٣٦ لسنة ٢٠١٤م. ويحتوي على مبحثين، تناولت في المبحث الأول: مفهوم التسامح والتعايش، وتناولت في المبحث الآخر: مبادئ التعايش السلمي (العدل، وصيانة الحقوق والحريات).

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي؛ وذلك باستقراء الآيات المتعلقة بالتسامح، ثم الوقوف على تفسيرها، وتحليل معانيها، والنظر في مقتضياتها؛ من أجل صياغة منهجية القرآن في إرساء دعائم التسامح الديني.

محتوى الدراسة:

تحتوي الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

المقدمة: وتضم أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

التمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: إثبات القرآن أن التنوع الديني سنة كونية

المطلب الأول: النظر إلى التنوع الديني بعين القَدَر.

المطلب الثاني: التعارف والتعاون في ضوء القيم المشتركة.

المطلب الثالث: التعايش بالحسنى.

المطلب الرابع: احترام الإنسانية وعدم الانتقاص من قدرها.

المبحث الثاني: التسامح الديني من أهم جوانب النزعة الإنسانية

المطلب الأول: التأكيد على الوحدة الإنسانية.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الائتلاف حول المشتركات الدينية والإنسانية.

المطلب الثالث: إقرار المشاركة المجتمعية مع أهل الكتاب.

المبحث الثالث: الحث على البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة

المطلب الأول: التضامن الاجتماعي مع أهل الرسالات السماوية.

المطلب الثاني: التزام العدالة والإنصاف مع أهل الرسالات السماوية.

المطلب الثالث: الحرص على الصلة ورفض القطيعة.

المبحث الرابع: الاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده

المطلب الأول: عدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام.

المطلب الثاني: فتح قنوات الحوار والتواصل الفعَّال.

المطلب الثالث: إتاحة الفرصة للمخالف للتعبير عن رأيه.

المبحث الخامس: النهي عن ازدراء الأديان

المطلب الأول: وجوب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفريق بين أحد منهم.

المطلب الثاني: النهي عن سب آلهة غير المسلمين.

المطلب الثالث: حرية الاعتقاد والارتقاء العقلي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

يتناول التمهيد التعريفات الأساسية لعنوان الدراسة – منهج القرآن الكريم في إرساء دعائم التسامح الديني – على النحو الآتي:

أولاً: تعريف المنهج:

المنهج لغة: هو الطريق الواضح البيّن، وهو من النهج، والنَّهْجُ: الطَّريقُ الواضِحُ، كالمَنْهَجِ والمِنْهاجِ، وأنْهَجَ: وضَحَ وأوضح، ونهجت الطريق بيَّنته وأوضحته(٥).

ولا يختلف تعريف المنهج في الاصطلاح عن معناه اللغوي؛ فالمنهج: الطريق الواضح، كما في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٦)، قال الزمخشري:" وَمِنْهاجًا: طريقًا واضحًا في الدين تجرُون عليه"(٧). وقال الشوكاني–رحمه الله–: " والمنهاج: الطريقة الواضحة البينة"(٨).

أما المركب الإضافي (منهج القرآن):

فهو يعني: الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في عرض موضوعٍ ما، من خلال آياته وسوره، ومعالجته الموضوع معالجة كاملة.

ويُهتدى إلى هذا المنهج باستقراء تلك الآيات وتدبرها، ومعرفة مدلولاتها ومقاصدها.

ثانيًا: المراد بـ "الدعائم":

الدعائم: جمع، مفردها الدعامةُ، ودعامة الشَّيءِ: عِمادُه الذي يقوم عليه، وسنده وركيزته، وهي: عماد الْبَيْت الَّذِي يقوم عَلَيْهِ، وقيل: غُصْنٌ أو فَرْعٌ يُغْرزُ في الأرض لتتسلَّق عليه النَّباتات المُعْترِشة(٩).

ثالثًا: تعريف "التسامح الديني":

التسامح لغةً: من "(سَمَحَ) السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سَلَاسَةٍ وَسُهُولَةٍ"(١٠). فالتسامح يعني: السهولة، واليسر، والجود، وحسن المعاملة، ومنه قول النبي–صلى الله عليه

وسلم-: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[١١]، فالتسامح حسن المعاملة، واستعمال معالى الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة[١٢] .

وانطلاقًا من التعريف اللغوي إلى التعريف الاصطلاحي، فالتسامح: يراد به السهولة واليسر والجود، وحسن المعاملة مع الآخرين سواء أكانوا موافقين للدين أو مخالفين، وهي من معالي الأخلاق ومكارمها، ولا يعني الذوبان في معتقد الآخر، أو التنازل عن المسلمات، أو التفريط في الثوابت.

والتسامح الديني في الاصطلاح: هو كما قال ابن رشد الحفيد: "موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كان ذلك الغير مشاركًا لنا في الملة أو غير مشارك"[١٣]. فهو "عدم الغلو في الدين الواحد وسلوك سبيل اليسر(سبيل التي هي أحسن) من جهة، واحترام حق الأقليات الدينية في ممارسة شعائر دينها دون تضييق أو ضغط"[١٤].

فالمقصود بمنهج القرآن في إرساء دعائم التسامح الديني، في إطار هذا البحث: هو الطرق والأساليب التي سلكها القرآن في ترسيخ ركائز التعايش؛ في إطار رؤية تحترم حق الآخر في الرأي والفكر والعقيدة.

وباستقراء آيات القرآن الكريم يتبين أنه سلك خمسة طرق ، وكل طريق منها بمثابة دعامة تحقق التسامح الديني، وبيان ذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: إثبات القرآن الكريم أن التنوع الديني سنة كونية

أثبت القرآن الكريم أن تنوع الناس في الدين واقع بإرادة الله تعالى الكونية المستلزمة لوقوع المراد، وأكد على ذلك في كثيرٍ من آياته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [١٥]، وقال عزَّ اسمه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [١٧]. فالتنوع الديني

سنة كونية لا محيد عنها، ولا مناص منها، فهي قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن مقتضيات سنة التنوع الديني ما نبينه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: النظر إلى التنوع الديني بعين القدَر:

اختلاف الناس وتباينهم في المعتقدات والأفكار واقع بقدر الله الكوني الذي لا يتغير ولا يتبدل، والإنسان لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ففضل الله يؤتيه من يشاء، فالفضل منه ابتداءً وانتهاءً، وهداية التوفيق لا يملكها أحد، وإنما هي بيد الله، ولو كان يملكها أحد لهدى نوحٌ ابنه، لكن ابنه عصى أوامره وكان مصيره الغرق بعد جهود أبيه في اللحظات الحاسمة المؤثرة، التي يبذل فيها كل أب ما يستطيع بذله من جهود لنجاة ابنه من هذا المصير المؤلم، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ *قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [١٨]، لكن لم يستطع نوح- عليه السلام- هداية ابنه. وفي المقابل؛ لم يملك إبراهيم-عليه السلام- هداية أبيه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [١٩].

ولم يملك لوط-عليه السلام- هداية زوجته، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [٢٠].

وكذلك لم يملك نبينا- صلى الله عليه وسلم- هداية عمه في أمور الدين والعقيدة، رُوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْفَعْ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ لَأَقْرَرْتُ عَيْنَيْكَ بِهَا، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢١]،[٢٢].

قال الإمام الشعراوي – رحمه الله–: " والحق سبحانه وتعالى شاء أن يجعل للإنسان حقَّ الاختيار وسخَّر له الكون، ومن الناس من يؤمن، ومن الناس من يكفر، بل ومن المؤمنين من يطيع مرة، ويعصي أخرى، وهذه هي مشيئة الحق ليتوازن الكون" (٢٣).

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ– رضي الله عنهما–، قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»(٢٤).

وروى خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ–رضي الله عنهما–، أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ، امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –عندما تُوُفِّيَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فقالت أُمُّ العَلاَءِ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَا يُفْعَلُ بِي»(٢٥).

وصفوة القول: إن "الاختلاف بين الأمم والشعوب وتمايزهم في معتقداتهم وثقافاتهم واقع بإرادة الله ووفق حكمته البالغة، مما يقتضي تعارفهم وتعاونهم على ما يحقق مصالحهم، ويحل مشاكلهم في ضوء القيم المشتركة، ويؤدي إلى تعايشهم بالحسنى وتنافسهم في عمارة الأرض وعمل الخيرات"(٢٦). " ومن ثَمَّ فإن المؤمن لا يزعجه هذا التمايز في الخلق ولا يسعى أبدًا إلى إنكار الآخر غير المسلم، ونفيه خارج الحياة وسياقها؛ لأنه يمثل في وعيه إرادة الله في كونه، والكفر والإيمان الله وحده يتولى الحساب عليهما يوم القيامة" (٢٧).

المطلب الثاني: التعارف والتعاون في ضوء القيم المشتركة:

تبرز قيمة التعارف والتعاون من خلال التنوع، فلو كانت البشرية كلها متطابقة لما كان هناك قيمة للتعارف والتعاون، ومن ثَمَّ فالتنوع الديني يقتضي التعارف والتعاون في ضوء القيم المشتركة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢٨).

والتعارف والتعاون فيما يجتمع عليه أتباع الرسالات الإلهية، والحضارات والثقافات، من قيم ومبادئ أخلاقية؛ يخفف من الصراع العالمي، ويعيد للأسرة مكانتها الاجتماعية، ويعمق قيم

العدل، والتعاون، والتسامح، والوسطية في حياة الناس، " فالتعارف أساس دعا إليه القرآن، وضرورة أملتها ظروف المشاركة في الدار أو الوطن بالتعبير العصري، وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلاً من إهمالها، فقد نصَّ القرآن بإطلاق ومن غير تقييد ولا تخصيص أن من مقاصد التنوع بين البشر التعارف والتعاون"(٢٩).

وبناءً على سبق: فالتعارف على غير المسلمين وثقافاتهم، وإرساء المبادئ المشتركة معهم، يحقق التعايش السلمي والأمن الاجتماعي للمجتمع الإنساني، ويساعد على حل المشكلات والخصومات التي قد تقع بين المسلمين وغيرهم ممن يتشاركون معهم في الأوطان والمجتمعات، ويعمل على توفير المناخ الصالح للتعايش السلمي، ويحقق التفاهم مع الحضارات والثقافات الإنسانية، مما يؤكد انخراط المسلمين ضمن التعددية الحضارية لبني الإنسان.

المطلب الثالث: التعايش بالحسنى:

أوصى القرآن الكريم بالتعايش الحسن، مع المسلم وغير المسلم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(٣٠). قال أبو إسحاق، عن نوف الشامي: "والجار الجنب"، قال: اليهوديّ والنصرانيّ(٣١).

والصاحب بالجنب وهو الذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقًا في سفر، وإما جارًا ملاصقًا، وإما شريكًا في تعلم أو حرفة، وإما قاعدًا إلى جنبك في مجلسٍ أو مسجدٍ أو غير ذلك، من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه، فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان(٣٢).

ومن أجل تحقيق التعايش الحسن فقد دعا القرآن الكريم إلى الحوار ووضع له ضابطا، وهو أن يكون بالتي هي أحسن؛ سواء أكان ذلك مع المخالفين دينيًا أو الموافقين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٣٣)، وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣٥]، فهذا منهج رسمه القرآن الكريم لتدبير الاختلاف بكافة صوره وأشكاله، فمن احتاج من أهل الرسالات السماوية للحوار فليكن جدله بالرفق واللين حتى ينجح الجدل لا بالشدة والغلظة.

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال:﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٣٦][٣٧].

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي ترسم المنهج القويم لجلب منافع التعايش الحسن والتأسيس للحوار الحضاري الفعَّال، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٣٨].

ولقد أمر الله تعالى نبيه بتطبيق هذا المنهج تيبليغه للناس، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾[٣٩] .

وجعل النبي –صلى الله عليه وسلم– التعايش بالحسنى من كمال الإيمان، وجعل إيذاء الجيران –على اختلاف تنوعهم– من الأمور التي تقدح في الإيمان؛ فعن أبي شريح، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»[٤٠] .

قال أبو العباس القرطبي– رحمه الله– : "الجارُ هنا: يصلُحُ للمجاوِرِ لك في مسكنك، ويصلُحُ للداخل في جوارك وحُرمتك؛ إذ كلٌّ واحد منهما يجبُ الوفاءُ بحقه، وتحرمُ أَذِيَّتُهُ تحريمًا أشدَّ من تحريم أذى المسلمين مطلقًا"[٤١] .

المطلب الرابع: احترام الإنسانية وعدم الانتقاص من قدرها:

كرَّم القرآن الكريم جنس الإنسان تكريمًا منقطع النظير وفضله على كثير من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٤٢].

ومن صور تكريم الله لجنس الإنسان: خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه ما لم يكن يعلم، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وصوره في أحسن صورة، وجعله يتمتع بالطيبات من الرزق من مأكلٍ ومشربٍ ومسكنٍ، فكرَّم الله بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير، وفضَّلهم على كثيرٍ ممن خلق بما خصهم به من المناقب والفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات، و" منبع كرامة الإنسان إنما تكمن في تحرره من عبودية غير الله تعالى، حتى لا يبتعد عن أصل تكريمه وتشريفه، فعبودية غير من كرَّم سقوطٌ فيما يناقض التكريم وينافي التشريف، كما أن الدخول في سلك العبودية لله تعالى صعود في مدارج التكريم"(٤٣).

فإن هذا التكريم يجعل الإنسان يعامل نفسه والآخرين بغض النظر عن جنسهم ومعتقداتهم باحترام؛ لأن الكرامة الإنسانية جامعة للبشرية رغم اختلافاتها. وإظهار هذه الحقيقة للبشرية بأكملها يقود إلى التعايش الحسن، والتعاون بين أتباع الرسالات على ما فيه خير الإنسان، وحفظ كرامته، وحماية حقوقه، ورفع الظلم، ورد العدوان عنه، وحل مشكلاته، وتوفير العيش الكريم له، وهي مبادئ مشتركة جاءت بها الرسالات الإلهية، وأقرتها الدساتير الوضعية وإعلانات حقوق الإنسان (٤٤).

المبحث الثاني: تأكيد أن التسامح الديني من أهم جوانب النزعة الإنسانية

التسامح نزعةٌ إنسانيةٌ تُوجه نحو التعاون والتعارف لتنمية القيم الإنسانية، التي دعت إليها كل الأديان. كما أن البحث في المشتركات الإنسانية من لوازم عالمية القرآن الكريم، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التأكيد على الوحدة الإنسانية:

أكد القرآن الكريم في غير آية من آياته أن الإنسانية جمعاء خُلِقت من نفسٍ واحدةٍ، فقال في خطابه الإلهي للمجتمع البشري، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٤٥] ، وقال عز اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٤٦].

فالبشرية جمعاء أبناء رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ، فهم شركاء في وحدة الأصل الإنساني التي تدعو إلى التسامح والتعايش بينهم على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، " ولما يقع في التصور أن أصل الناس واحد وخالقهم واحد، فإن النفوس المؤمنة بذلك تستوي على وحدة في الشعور بالمساواة في الإنسانية والأخوة فيها، ويلابسها تبعًا لذلك التسليم التلقائي بمبدأ التكافؤ بين الناس، كما يلابسها الشعور بالتقارب بينهم، وتنتفي منها دواعي التمايز والتعالي"[٤٧] .

قال الإمام الطاهر بن عاشور–رحمه الله–: " كل إنسان إذا لفت ذهنه إلى وجوده علم أنه وُجُودٌ مسبوقٌ بوجود أصل له بما يشاهد من نشأة الأبناء عن الآباء؛ فيوقن أن لهذا النوع أصلا أول ينتهي إليه نُشُوءُهُ " [٤٨] .

ويقول الشيخ محمد سيد طنطاوي–رحمه الله–: " رجوع الناس إلى أصل واحدٍ أقرب إلى التواد والتراحم والتعاطف....أنشأكم من نفسٍ واحدةٍ؛ فلكم موضع الاستقرار في الأرحام أو في الأرض وموضع استيداع في الأصلاب أو في القبور"[٤٩].

فالوحدة الإنسانية توثق العلاقات، وتقي من النزاعات والصراعات، وجامعة في إطار الاختلاف الطبيعي، ولقد أكد النبي– صلى الله عليه وسلم– حقيقة الوحدة الإنسانية في أصلها في بيانه النبوي في حجة الوداع في قوله:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[٥٠].

المطلب الثاني: الدعوة إلى الائتلاف حول المشتركات الدينية والإنسانية:

دعا القرآن الكريم الإنسانية بكل ديانتها ومعتقداتها إلى الائتلاف حول المشتركات الدينية والإنسانية التي تقي المجتمع الإنساني التفكك والفُرْقة.

فالأديان السماوية تشترك في بعض العقائد، كالتوحيد الذي الله من أجله كل الرسل والأنبياء قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[٥١].

كما أمر القرآن الكريم النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يدعوَ أهل الكتاب إلى المشترك والمؤتلف الجامع القائم على الكلمة السواء التي جمعت المشتركات الدينية الأساسية(٥٢)، المتمثلة؛ فتترك عبادة غير الله، ويفرد وحده بالعبادة والطاعة والإذعان، ولا يشرك معه غيره في العبادة والخضوع، ولا يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله، قال عزَّ اسمه: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٥٣).

كما اتفقت الأديان السماوية في أصول الشرائع كحفظ الدين وصيانة النفس والعرض والمال والعقل، قال الغزالي – رحمه الله– : " لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر"(٥٤)، فدعا القرآن إلى الجوامع المشتركة(٥٥) في العبادات والمعاملات والأخلاق، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٥٦)

المطلب الثالث: إقرار المشاركة المجتمعية مع أهل الكتاب:

عمل القرآن الكريم على بناء الوحدة الإنسانية الجامعة، ووضع جسور التواصل والتعايش مع أهل الكتاب؛ ليتحقق الاندماج الاجتماعي والأسري والاقتصادي والتواصل الفعَّال، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٥٧).

فشمل القرآن الكريم أهل الكتاب بالمخالطة والمشاركة الاجتماعية، فجعل طعامهم حلًا لنا وطعامنا حلًا لهم، ليتم التزاور والمضايفة في المأكل والمشرب، وجعل المحصنات العفيفات من نسائهم بمعنى المحصنات العفيفات نسائنا، ويساوي الحق بين المحصنة من المؤمنات

والمحصنة من أهل الكتاب، وشرط حل المحصنات هو شرط المحصنات المؤمنات، وبهذا تظهر سماحته.

يقول الإمام الشعراوي–رحمه الله–: "ولا يستقيم أن يستنكف الإنسان من أنه طعام أهل كتاب؛ لأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل من الإنسان الذي ارتبط بالسماء ارتباطًا حقيقيًا كالمسلمين، ومن ارتبطوا بالسماء وإن اختلف تصورهم لله، يريد سبحانه أن يكون بينهم نوع من الاتصال لأنهم ارتبطوا جميعا بالسماء، ويجب أن يعاملوا على قدر ما دخلهم من إيمانٍ باتصال الأرض بالسماء.

وإياك أن تقول بمقاطعة أهل الكتاب لا، ولكن انظر إلى طعامهم فإن كان من جنس الطعام المحلل في الإسلام فهو حلال. ولا يصح أن تمنع واحداً من أهل الكتاب من طعامك؛ لأن الله يريد أن ينشئ شيئًا من الألفة يتناسب مع الناس الذين سبق أن السماء لها تشريع فيهم، ويعترفون بالإله وإن اختلفوا في تصوره، وقوله: ﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾، وذلك أن تؤدى المهور، بقصد النكاح الشرعي، الذي يحصن به الرجل امرأته ويصونها، لا أن يكون هذا المال طريقًا إلى السفاح أو المخادنة"(٥٨) .

ونحن هنا نجد الحق يحلل لنا مطاعمة أهل الكتاب حتى تكون هناك صلة بيننا وبين من يؤمن بإله وبمنهج السماء، وأوضح الحق سبحانه ذلك في آيات أخرى حينما قال: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٥٩) .

فسبحانه يريد أن نوازن في أسلوب تعاملنا، فلا نساوي بين ملحدٍ مشرك ومؤمن بصلة السماء بالأرض وإن كفر برسول الله. وأن يكون هناك قدر محدود من التواصل الإنساني. فالذي يحل للمؤمنين من طعام أهل الكتاب هو الذي يكون حلالا في منهج الإسلام(٦٠).

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه: أن سماحة القرآن رسخت بالتزوج بأهل الكتاب وجواز أكل طعامهم مقاصد جليلة النفع، لها بالغ الأثر في النفوس، كالتسامح والتعارف على غير المسلمين وثقافاتهم وإرساء المباديء المشتركة معهم، وكما قال السيوطي– رحمه الله–: " أن

الإنسان الواحد وحدَه لا يستقلُّ بجميع حاجاته بل لا بدَّ من التعاون، ولا تعاونَ إلا بالتَّعارف"(٦١)

أيضًا؛ من المقاصد في إباحة التزوج بأهل الكتاب وجواز أكل طعامهم- إزالة الجفوة التي تحجبهم عن محاسن الإسلام بإظهار محاسنه لهم بالمعاملة. فينبغي لكل مسلم يريد الزواج منهم أن يكون مظهرًا لهذا المقصد وسالكًا سبيله، وذلك بأن يكون قدوة صالحة لامرأته ولأهلها في الصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق، فإن من لم يرَ نفسه أهلًا لذلك فلا يقدم عليه(٦٢).

ومما هو حريٌّ بالتنبيه إليه: أن تحليل طعام أهل الكتاب ونسائهم من الضرورات، فالطعام لحفظ النفس، والنساء لحفظ النسل، وبهذا جمع الإسلام بين مصلحتين، إحداهما: حفظ الضروريات، ولو بالتقارب من أهل الكتاب، وتناول طعامهم ونكاح نسائهم، والأخرى: جعل هذا سبيلًا للتقارب ونشر الإسلام، وفي هذا سبيل لحفظ مقصد الدين.

المبحث الثالث: الحث على البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة:

حث القرآن الكريم على البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة؛ من أجل تحقيق التسامح الديني، حيث قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٦٣).

فالقرآن الكريم لم ينهَ أتباعه عن البر والصلة لأهل الأديان المختلفة، طالما أنهم لم ينتصبوا للقتال في الدين والإخراج من الديار، فصلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة، يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي-رحمه الله-: "والذي تطمئن إليه النفس أن هاتين الآيتين، ترسمان للمسلمين المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه مع غيرهم، وهو أن من لم يقاتلنا من الكفار، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق الأذى والضرر بنا، فلا بأس من بره وصلته" (٦٤)، ونبين في المطالب الآتية صور البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة:

المطلب الأول: التضامن الاجتماعي مع أهل الرسالات السماوية:

فكما حث القرآن على البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة، فقد أوصى النبي –صلى الله عليه وسلم– بالإحسان إلى أهل الأديان المختلفة، ومن أمثلة ذلك وصيته–صلى الله عليه وسلم– بالأقباط خيرًا ودعوته إلى حسن معاملتهم وعدم أذيتهم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ– رضي الله عنه– ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»(٦٥)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(٦٦) .

وأكد الفاروق عمر–رضي الله عنه– على التضامن الاجتماعي مع أهل الرسالات السماوية حينما قَالَ: " أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِأَهْلِ الذِّمَّةِ خَيْرًا , أَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ , وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ , وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ"(٦٧).

ومن صور التضامن الاجتماعي مع أهل الرسالات السماوية –كما يقول القرافي– "فالرفق بضعيفهم، وسدُ خلةِ فقيرهم، وإطعامُ جائعهم، وإكساءُ عاريهم، ولينُ القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمةِ لا على سبيل الخوف والذِّلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفًا منَّا بهم لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاءُ لهم بالهداية، وأن يُجْعَلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحدٌ لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يُعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالُهم لجميع حقوقهم"(٦٨).

ويقول أيضًا: "والذي إجماع الأمة عليه؛ أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك؛ صونًا لمن هو في ذمة الله"(٦٩).

المطلب الثاني: التزام العدالة والإنصاف مع أهل الرسالات السماوية:

أوصى القرآن الكريم بالتزام المودة والقسط مع غير المعتدين؛ من أجل المشتركات والجوامع التي تجمع البشرية والبناء الحضاري والإنساني، وحذر من الكيل بمكيالين، كما قال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٠).

قال ابن القيم– رحمه الله– : " والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجل، خصوصًا من نصَّب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب"(٧١).

كما أقرت العدالة القرآنية (٧٢) الصلاح لهم عند صلاحهم، والفساد عند فسادهم دون النظر إلى معتقداتهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٧٣).

قال ابن عاشور–رحمه الله–: " الإنصاف من النفس من أجلى مظاهر الخلق الكريم، وأدلها على رسوخ محبة العدل في الضمير" (٧٤).

المطلب الثالث: الحرص على الصلة ورفض القطيعة:

حرص القرآن الكريم في توجيهاته للنبي–صلى الله عليه وسلم– وللبشرية جمعاء على الصلة ورفض القطيعة، ومن الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة، قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٧٥)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٧٦)، **وهذا درس منهجي وتربوي وأخلاقي في التعامل مع مع أتباع الرسالات الإلهية**، فقد يأتي البعض بأعمال يستحق أن يُتبرأ منها، وقد يأتي بأعمال من المشتركات التي يُتعاون معه عليها، **لذلك تبرأ القرآن من العمل لا من صاحبه**، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾(٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٨)، وقوله عزَّ اسمه: ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٩) .

كما حثَّ القرآن الكريم على عدم رد الإساءة بالإساءة، وعمل على إمالة المسيء، قال تعالى حكايةً عن قوم شعيب–عليه السلام– ورده عليهم: آ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠)، وقال لنبيه–صلى الله عليه وسلم– : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٨١)، وطبق النبي ذلك عمليًا مع أهل مكة الذين عفا عنهم صلى الله

عليه وسلم يوم فتح مكة ، قَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ: " مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟ " قَالُوا: خَيْرًا, أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: " اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ "(٨٢).

وهذا ما طبقه النبي–صلى الله عليه وسلم– عندما دخل عليه وفد من اليهود، فعن عروة بن الزبير، أن عائشة، رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السَّامُ عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السَّامُ واللعنة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "(٨٣).

المبحث الرابع: الاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده

من دعائم التسامح الديني التي أقرها القرآن الكريم الاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده، وذلك بإعطائه الحرية في اختيار معتقده، والتعبير عن رأيه، ولو في أدق القضايا المتعلقة بالاعتقاد، بل سمح له بعرض شبهه، وحثَّ أتباعه بالحوار والجدل بالتي هي أحسن دون رفض ولا إقصاء، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٨٤).

وهذا منهج قرآني تربوي وأخلاقي للبشرية جمعاء في كل زمانٍ ومكانٍ، وهو أن المسلمين يؤمنون بأن أساس الرسالات الإلهية التي أنزلها الله على أنبيائه واحد، وهو الدعوة إلى عبادته وحده، وأن المسلمين لا يفرقون بين أحد من رسله، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٨٥) .

ومن صور الاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده ما نوضحه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: عدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام:

وضع القرآن الكريم قانونًا عامًا التزم به النبي–صلى الله عليه وسلم–وصحابته والمسلمون في جميع عصورهم وديارهم، ألا وهو قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين﴾، فالرسول جاء لينقل عن الله لا ليكره الناس، وهو سبحانه قد جعل خلقه مختارين، وإلا لو أكرههم لما أرسل الرسل(٨٦).

قال الإمام المراغي–رحمه الله–: "وقد جعل المسلمون قوله: (لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ) أسًّا من أسس الدين، وركنًا عظيمًا من أركان سياسته، فلم يجيزوا إكراه أحد على الدخول فيه، كما لم يجيزوا لأحد أن يكره أحدًا على الخروج منه"(٨٧).

هذه سماحة القرآن ورحمته، فأصل التدين والإيمان بالله ألاّ يكرهك أحد عليه، فالقرآن لا يفرض الدين، ولكنه جاء ليفرض حرية الاختيار في الدين، فلا محل لطريق الإكراه على الإسلام، لأن الله علَّم نبيه–صلى الله عليه وسلم–ثلاث طرق للدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٨٨) .

قال الفخر الرازي– رحمه الله–: " واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن"(٨٩) .

وقال الإمام الشعراوي–رحمه الله–: " إن الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا نحن العباد المؤمنين ولسائر البشرية أنه وضع قانونًا التزم به النبي–صلى الله عليه وسلم– والمسلمون في جميع عصورهم: " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين"، والإكراه هو أن تحمل الغير على فعل لا يرى هو خيراً في أن يفعله، أي لا يرى الشخص المكرَه فيه خيراً حتى يفعله....إنّ الرسول جاء لينقل عن الله لا ليكره الناس، وهو سبحانه قد جعل خلقه مختارين، وإلا لو أكرههم لما أرسل الرسل، ولذلك يقول المولى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٠)،(٩١).

وتقول المستشرقة الألمانية زغريد هونكه في قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين﴾: " هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناءً على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام...وسمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى. أوَليس هذا منتهى التسامح؟ "(٩٢) .

المطلب الثاني: فتح قنوات الحوار والتواصل الفعَّال:

دعا القرآن الكريم إلى الحوار(٩٣)، الديني، وأكثر من ذكر المواقف الحوارية ذات الطابع الديني، في موضوعيةٍ عاليةٍ وتودد قائمًا على التسامح الذي ينتج احتكاكًا فكريًا وثقافيًا

واجتماعيًا، ويفتح قنوات الحوار والتواصل؛ **وذلك تحقيقًا لعموم رسالة النبي ﷺ والمساعدة على تحقيق المصالح الإنسانية المشتركة**، قال الله تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم– مخاطبًا أهل العقائد الأخرى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٩٤)؛ لأن "الحوار منهج قرآني أصيل، وسنة نبوية درج عليها الأنبياء في التواصل مع أقوامهم، وتقدم السيرة النبوية العطرة منهاجًا، واضح المعالم لا تخطئه عين المتأمل في حوار النبي ﷺ مع نصارى نجران، ومراسلاته ﷺ لملوك الأمم وعظمائها، فكان الحوار من أهم سبل بلوغ هداية الإسلام إلى العالمين"(٩٥).

ولقد مارس النبي–صلى الله عليه وسلم– ذلك عمليًا على أرض الواقع وهو يؤسس لبناء المدينة فلم يغفل عن أهل الكتاب بل فتح معهم قنوات الحوار والتواصل ونص على مشروعية وجودهم وأقرَّ حقوقهم ، وجعلهم أمة مع المؤمنين، فكان في بنود الصحيف التي وضعها: "وأنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأنّ ليهود بني النّجّار مثل ما ليهود بني عوف، وأنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وأنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأنّ ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأنّ ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف"(٩٦).

ومن بنودها: "ولنجران وحاشيتها، جوار الله وذمّة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملّتهم، وغائبهم، وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم وكلّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغّير أسقف من أسقفيّته ولا راهب من رهبانيّته ولا كاهن من كهانته. وليس عليهم ربّيّة، ولا دم جاهلية. ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين"(٩٧).

فلا يمكن بناء الأوطان في ظل الإقصاء أو الصراع الديني، بل يقتضي البناء فتح قنوات الحوار والتواصل الفعَّال لا سيما في ظل العيش المشترك، فقد قدَّم النبي ﷺ للبشرية جمعاء النموذج الأمثل في التعايش الإيجابي بين أتباع الرسالات الإلهية، حيث تسمو وثيقة المدينة المنورة بسبقها؛ لتكون مفخرة تُحتذى في التعايش الحضاري؛ فقد حددت أطر التعاون على

تحقيق المصالح المشتركة، والتعاضد على إرساء قيم العدل والبر والإحسان، وغيرها من القيم الإنسانية النبيلة(٩٨).

المطلب الثالث: إتاحة الفرصة للمخالف للتعبير عن رأيه:

حثَّ القرآن الكريم على استدعاء المخالف، من أجل التعبير عن رأيه، وإقامة الحجة والدليل عليه، في إطار التدافع المعرفي، قال تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٩٩)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١٠٠).

كما رفض القرآن الكريم الإعراض عن سماع المخالف، والإنصات لرأيه، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(١٠١)، فسمح القرآن للمخالف بالتعبير عن رأيه من غير من غير استكبار واستهزاء، ورتب على ذلك العذاب الأليم؛لأنمقصد القرآن التعاون على إظهار الحقائق من خلال السماع لكل الآراء والمعتقدات.

وتأسيسًا على ما سبق: فإن فتح قنوات الحوار والتواصل والتعاون، السماع للرأي والرأي الآخر القائم على التسامح ضرورة اقتضتها المواطنة وأملتها ظروف الحياة، ولا سيما أنه يسهم في تحقيق عموم رسالة النبي ﷺ لقوله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٢)، ويساعد على تحقيق المصالح الإنسانية المشتركة.

المبحث الخامس: النهي عن ازدراء الأديان:

منع القرآن الكريم احتقار الأديان، أو الاستخفاف بها، أو الإساءة إليها أو إلى أتباعها، وأكد القرآن الكريم على أن أساس الرسالات الإلهية التي أنزلها الله على أنبيائه واحد، وهو الدعوة إلى عبادته وحده، وأن المسلمين لا يفرقون بين أحد من رسله، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(١٠٣).

فلا يزدري أحدٌ الأديان؛ وإنما عليه بيان أصلها، وما وقع فيها من التحريف[١٠٤]، ومن له علم بتاريخ الأديان يُدرك أنه وُجد في جميع أمم الحضارة القديمة دعاة إلى عبادة الله تعالى، وإلى العمل الصالح وإلى ترك الشرور والرذائل، منهم أنبياء مبلغون عن الله تعالى مبشرين ومنذرين، كما أنه وجد فيهم حكماء يبنون إرشادهم على الاحتجاج بما ينفع الناس ويضرهم بحكم العقل والتجربة، فكانت من الشرائع الإلهية: شريعة إبراهيم υ، ومن غيرها شريعة حمورابي في العراق، وشريعة البراهمة، وشريعة المصريين التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ﴾[١٠٥]، ثم أعقبتها شريعة إلهية كبرى وهي شريعة موسى υ وجاورتها أو أعقبتها شرائع مثل شريعة زرادشت في الفرس، وشريعة كنفشيوس في الصين، وشريعة سولون في اليونان، وقد صلُح أتباع الأنبياء حال اهتدائهم بأنبيائهم، ثم وقع من أصحاب تلك الشرائع ما يُقبل، وما يُنكر[١٠٦].

وكما أن منع ازدراء الأديان منهج قرآني، فهو أيضًا منهج نبوي، فمن أمعن النظر في حديث النبي-صلى الله عليه وسلم- عندما أرسل معاذ بن جبل-رضي الله عنه- إلى اليمن، ليدعوهم إلى الإسلام، يتبين له أنه صلى الله عليه وسلم لم يزدري دينهم، بل احترمهم ووصفهم بأنهم أهل علم وفضل، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب....»[١٠٧]، و" قوله: " إنك ستأتي قوماً أهل كتاب" هو توطئة وتمهيد للوصية باستجماع همته في دعوتهم، فإن أهل الكتاب لديهم علم، ولا يخاطبون كما يخاطب جهال المشركين وعبدة الأوثان"[١٠٨].

ونحاول في المطالب الآتية بيان ركائز منع ازدراء الإيمان، على النحو الآتي:

المطلب الأول: وجوب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفريق بين أحد منهم:

أمر الله بالإيمان بجميع الأنبياء، وعدم التفريق بينهم؛ لأن أصول شرائعهم واحدة، أوحى الله بها إليهم، ودعا سابقهم ولاحقهم إليها، دينهم واحد، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٩]، **ونظير هذه الآية،** قوله تعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١١٠).

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي-رحمه الله-: "فالآية الكريمة تأمر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن يخبر عن نفسه وعمن معه بأنهم آمنوا بالله وبكتبه وبرسله جميعا بدون تفرقة بينهم، لأنها شرائع الله- تعالى- التي أنزلها على أنبيائه، كلها مرتبط بعضها ببعض، وكلها تتفق على كلمة واحدة هي إفراد الله- تعالى- بالعبودية والطاعة"(١١١).

المطلب الثاني: النهي عن سب آلهة المشركين:

أمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بتبليغ وحيه بالقول والعمل، والإعراض عن المشركين بمقابلة جحودهم وطعنهم في الوحى بالصبر والحلم، وبين أن من مقتضى سنته في البشر ألا يتفقوا على دين لاختلاف استعدادهم وتفاوتهم في درجات الفهم والفكر، وأن وظيفة الرسل أن يكونوا مبلغين لا مسيطرين، وهادين لا جبارين، فينبغي ألا يضيقوا ذرعًا بما يرون وما يشاهدون من الازدراء بهم والطعن في دينهم، فإن الله هو الذي منحهم هذه الحرية ولم يجبرهم على الإيمان ونهى المؤمنين عن سب آلهة المشركين، لأنهم إذا شتموا فربما غضبوا، وذكروا الله بما لا ينبغي من القول، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١١٢)، (١١٣).

ووقع النهي عن السَّب؛ لأنه يستلزمُ إقدامهم على سبِّ الله تعالى وسبَّ رسوله- صلى الله عليه وسلم-، وعلى فتح باب السفاهة، وعلى تنفيرهم من قبول الدين، وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم، ويثير العداوة ويورث الأحقاد بينهم وبين المسلمين، ويكشف الحجاب الذي يحجبهم عن الإسلام على قبح السب في نفسه، وكونه غير لائق بالمسلم ولا من شأنه ، فَلِكَوْنِهِ مستلزمًا لهذه المنكرات؛ وقع النهي عنه(١١٤).

ومن تمام الحكمة الإلهية أن الله–عزَّ اسمه– ما حرَّم شيئًا إلا وحرم الطرق المفضية إليه، فحرَّم الله سبَّ آلهة المشركين درءً لسبه –سبحانه وتعالى– فتعظيمه وصون اسمه من التعرض لأي قبيح مقصدٌ شرعيٌ واجبٌ على المكلفين الالتزام به، ولو أدى ذلك إلى ترك التعرض لمعتقدات المشركين.

المطلب الثالث: حرية الاعتقاد والارتقاء العقلي:

أَسَّس القرآن الكريم لذلك بقاعدتين: إحداهما: ﴿لا إكراه في الدين﴾، والأخرى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، وهاتان القاعدتان تنفيان الإجبار على الدخول في الدين، لأن هذا الإجبار لا فائدة من ورائه، إذ التدين إذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرهًا له ونفورًا منه.

ومما هو حريٌ بالتنبيه إليه: أن هذه الحرية ليست قيمة مطلقة، وإنما ترتبط بالمسؤولية، وشرطها ألا تمس الآخرين في حقوقهم المعنوية والمادية؛ فالمواقف الدينية لا بدَّ أن تكون على نهجٍ سليمٍ منضبطٍ بقواعد الشرع، دون الإضرار بأحد، بل العمل على تعزيز المشترك بين الرسالات السماوية(١١٥).

وقد دعت حوارات الأديان إلى" التعاون مع حكومات الدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية في مطالبة هيئة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان العالمية، الرسمية منها والشعبية بتجريم حملات الإساءة الموجهة إلى الإسلام ورسوله ﷺ والقرآن الكريم، وإصدار القرارات التي تدين الإساءة إلى الأنبياء ورسالاتهم، وتحول دون استغلال الحريات الثقافية والإعلامية بطريقة تقوض التعايش والأمن الدوليين"(١١٦)

أما عن الارتقاء العقلي فيقول محمد رشيد رضا: " وأن المرء لا يكون مؤمنًا إلا إذا عَقَلَ دينه وعَرِفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن رُبِّيَ على التسليم بغير عقل، والعمل – ولو صالحًا – بغير فقه، فهو غير مؤمن، لأنه ليس القصدُ من الإيمان أن يُذَلَّلَ الإنسان للخير كما يُذَلَّلُ الحيوان، بل القصدُ منه أن يرتقي عقلُه وتتزكى نفسُه بالعلم بالله والعرفان في دينه، فيعمل الخير ; لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضيَّ لله، ويترك الشر ; لأنه يفهمُ سوءَ عاقبته ودرجة مضرَّته في دينه ودنياه، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده، فلا يأخذه بالتسليم لأجل آبائه وأجداده" (١١٧).

****

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، على النحو الآتي:

النتائج:

١- التسامح منهجٌ قرآنيٌ أصيلٌ، وممارسةٌ نبويةٌ، وثقافةٌ راسخةٌ في ذاكرة الأمة اصطبغت بها العلاقة بين المسلمين وغيرهم منذ نزول القرآن وعبر تاريخه الحضاري الطويل.

٢- اعتمد القرآن الكريم خمسة طرق إرساء دعائم التسامح الديني وتحقيقه وهي: إثبات أن التنوع الديني سنة كونية، وتأكيد أن التسامح الديني من أهم جوانب النزعة الإنسانية، الحث على البر والإحسان إلى أهل الأديان المختلفة، والاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده، ومنع ازدراء الأديان.

٣- التسامح الديني كفيلٌ في تجاوز التحديات الراهنة، لما تمتلكه البشرية من مشتركاتٍ إنسانيةٍ كثيرة.

٤- التسامح نزعةٌ إنسانيةٌ توجه نحو التعاون والتعارف لتنمية القيم الموجودة في جوهر كل الأديان، والبحث في المشتركات الإنسانية من لوازم عالمية رسالة القرآن الكريم.

٥- التعارف على غير المسلمين وثقافاتهم، وإرساء المبادئ المشتركة معهم، يحقق التعايش السلمي والأمن الاجتماعي للمجتمع الإنساني، ويساعد على حل المشكلات والخصومات.

٦- القرآن الكريم حافل بالآيات التي ترسم المنهج القويم لجلب منافع التسامح الديني والتأسيس للحوار الحضاري الفعَّال.

٧- التسامح الديني علاجٌ لأخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية الآن، الناتجة عن سوء فهم النصوص ومعرفة دلالتها.

٨- دعا القرآن الكريم الإنسانية بكل ديانتها ومعتقداتها إلى الائتلاف حول المشتركات الدينية والإنسانية، التي تقي المجتمع الإنساني التفكك والفُرْقة.

٩- عمل القرآن على بناء الوحدة الإنسانية الجامعة، ووضع جسور التواصل والتعايش مع أهل الكتاب؛ ليتحقق الاندماج الاجتماعي والأسري والاقتصادي والتواصل الفعَّال.

١٠- رسخت سماحة القرآن جواو النكاح من أهل الكتاب وأكل طعامهم، ولهذا أبلغ الأثر في النفوس.

١١- أوصى القرآن الكريم بالتزام المودة والقسط مع غير المعتديين؛ من أجل تحقيق البناء الحضاري والإنساني، وحذر من الكيل بمكيالين.

١٢- أقرَّ القرآن الكريم الاعتراف بالمخالف ووجوده ومعتقده، وإعطائه حق التعبير عن رأيه، ولو في أدق القضايا المتعلقة بالاعتقاد، بل سمح له بعرض شبهه، وحثَّ أتباعه بالحوار والجدل بالتي هي أحسن دون رفض ولا إقصاء.

١٣- حثَّ القرآن الكريم على استدعاء المخالفين للتعبير عن رأيهم، وإقامة الحجة والدليل عليهم، في إطار التدافع المعرفي.

١٤- منع القرآن الكريم من احتقار الأديان، أو الاستخفاف بها، أو الإساءة إليها أو إلى أتباعها، وأكد على أن أساس الرسالات الإلهية التي أنزلها الله على أنبيائه واحد، وهو الدعوة إلى عبادته وحده، وعدم التفريق بين أحد من رسله.

التوصيات:

١- ضرورة دراسة مقاصد التسامح الديني في ضوء الكتب المقدسة: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل.

٢- جَعْل التسامح الديني مقررًا دراسيًا لطلاب الجامعات.

٣- توعية أفراد المجتمع بالمنهج الذي رسمه القرآن الكريم في إرساء دعائم التسامح الديني في كافة وسائل الإعلان من خلال المتخصصين.

٤- التوسع في نشر التسامح الديني، بالتوسع في مسابقاته العلمية، والمحاضرات العامة التي تعرف به، وبأهدافه، وآثاره.

٥- ضرورة بيان منهج النبي-صلى الله عليه وسلم- في إرساء دعائم التسامح الديني.

٦- ضرورة عقد ندوات ومؤتمرات للتسامح الديني في مناطق الاحتدام الديني، والتطرف الفكري.

الحواشي:

١ – سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

٢ – سورة النساء الآية (١).

٣ – سورة الأحزاب الآية (٧٠– ٧١).

٤– سورة المائدة، الآية (١٥–١٦).

(٥) انظر: القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص ٢٠٨.

(٦) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١/٦٤٠.

(٨) فتح القدير: مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ، ٢/ ٥٦.

(٩) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ١/ ٢٨٦، وانظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) وآخرون، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ١/ ٧٤٧.

(١٠) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٣/ ٩٩.

(١١) أخرجه البخاري، كتاب البُيُوعِ، باب السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ..، رقم (٢٠٧٦).

(١٢) انظر: شرح صحيح البخارى: لابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، ٦/ ٢١٠.

(١٣) تهافت التهافت: مُحَمَّد بن أحمد بن رشد، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف– القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م، ص٣٩٦.

(١٤) قضايا في الفكر المعاصر: مُحَمَّد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٩.

(١٥) سورة يونس، الآية (٩٩).

(١٦) سورة هود، الآية (١١٨– ١١٩).

(١٧) سورة الشورى، الآية (٨).

(١٨) سورة هودة، الآية (٤٢– ٤٣).

(١٩)سورة مريم:، الآية (٤١ – ٤٧).

(٢٠) سورة التحريم، الآية (١٠).

(٢١) سورة القصص، الآية (٥٦).

(٢٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ١٤/ ١٦٧ رقم ٦٢٧٠.

(٢٣) تفسير الشعراوي – الخواطر: مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٠/ ٦٢٢٣.

(٢٤) أخرجه مسلم، كتاب الْقَدَرِ ،بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، ٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤.

(٢٥) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار ، بَابُ مَقْدَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ المَدِينَةَ، رقم (٣٩٢٩).

(٢٦) نداء مكة المكرمة: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، العدد الرابع والعشرون، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٧٥– ٢٧٦.

(٢٧) قواعد التعايش السلمي مع غير المسلمين كما يقررها القرآن الكريم ومصير أعمالهم الصالحة في الآخرة: د. زينب عبدالسلام أبو الفضل، دار الكلمة، ١٤٤٣هـ–٢٠٢٢م، ص ٨.

(٢٨) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٢٩) النظر الشرعي في بناء الائتلاف: دراسة تأصيلية تحليلية، مُحَمَّد رفيع، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م، ص ٤٧.

(٣٠) سورة النساء، آية (٣٦).

(٣١) جامع البيان في تأويل القرآن: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ٨/ ٣٣٩.

(٣٢) انظر: مفاتيح الغيب ١٠/ ٧٧.

(٣٣)سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٣٤)سورة المؤمنون، الآية (٩٦) .

(٣٥)سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

(٣٦) سورة طه، الآية (٤٤).

(٣٧)تفسير ابن كثير ٤/ ٦١٣

(٣٨)سورة فصلت، الآية (٣٤).

(٣٩) سورة الإسراء، الآية (٥٣).

(٤٠) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم (٦٠١٧).

(٤١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: أبو العباس القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ١/ ٢٢٨.

(٤٢) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٤٣) المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، مُحَمَّد رفيع ، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، مجلد ١٧، العدد ٦٦، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص ١٢٤.

(٤٤)انظر: نداء مكة: ص٢٧٨.

(٤٥) سورة النساء، الآية (١).

(٤٦) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٤٧) الإيمان والعمران: عبدالمجيد النجار، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثامن، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، ص ٦٩.

(٤٨) التحرير والتنوير : مُحَمَّد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ،١/ ٣٩٥

(٤٩)التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مُحَمَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ٥/ ١٣٩.

(٥٠) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٨/ ٤٧٤ رقم ٢٣٤٨٩، وقال الهيثمي: " ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ، ٣/ ٥٨٦.

(٥١) سورة النحل، الآية (٢).

(٥٢) جاء في سفر الخروج: " ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا:أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ.لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ.لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ" سفر الخروج، إصحاح (٢٠/ ١– ٥).

(٥٣) سورة آل عمران، الآية (٦٤).

(٥٤) المستصفى: أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ١٧٤.

(٥٥) ومن الوصايا والمشتركات التي جاءت في الكتاب المقدس، ما ورد في سفر التكوين « أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَقْتُلْ .لاَ تَزْنِ.لاَ تَسْرِقْ.لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ» سفر التكوين، إصحاح (٢٠/ ١٢– ١٧).

(٥٦) سورة الأنعام، الآية (١٥١– ١٥٢)

(٥٧)سورة المائدة، الآية (٥).

(٥٨) انظر: تفسير الشعراوي ٥/ ٢٩٣٨.

(٥٩) سورة الممتحنة، الآية (٨–٩).

(٦٠) انظر: تفسير الشعراوي ٥/ ٢٩٤٠.

(٦١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ١/ ٣٤.

(٦٢)انظر: تفسير المنار: مُحَمَّد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م، ٦/ ١٦٢.

(٦٣)سورة الممتحنة، الآية (٨– ٩).

(٦٤)التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مُحَمَّد سيد طنطاوي، ١٤/ ٣٣٥.

(٦٥)أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، ٤/ ١٩٧٠ رقم ٢٥٤٣.

(٦٦)أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جُرْمٍ، رقم (٣١٦٦).

(٦٧)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٣٤٧/٩، رقم (١٨٧٤١).

(٦٨) الفروق: شهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ٣/ ١٥.

(٦٩) الفروق: شهاب الدين القرافي ٣/ ٢٦.

(٧٠) سورة المائدة، الآية (٨).

(٧١)إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ٣/ ٧٨.

(٧٢) قال الإمام مُحَمَّد أبو زهرة: "والعدالة هي الميزان الذي يضبط به كل عمل". المجتمع الإنساني في الإسلام، مُحَمَّد أبو زهرة، ص ٢٥٩.

(٧٣) سورة آل عمران، الآية (٧٥).

(٧٤)أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية– تونس، ط٢، ١٩٨٥م، ص ١٣٣.

(٧٥) سورة يونس، الآية (٤١).

(٧٦) سورة الكافرون، الآية (١– ٦).

(٧٧) سورة هود، الآية (٣٥).

(٧٨) سورة الشعراء، الآية (٢١٦).

(٧٩) سورة هود الآية (٥٤).

(٨٠) سورة الأعراف، الآية (٦٧).

(٨١) سورة الأعراف، الآية (١٩٩).

(٨٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، رقم (١٨٢٧٦).

(٨٣) أخرجه البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، رقم (٦٠٢٤).

(٨٤) سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

(٨٥) سورة النساء، الآية (١٥٢).

(٨٦) تفسير الشعراوي ٢/ ١١١٢.

(٨٧)تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، مكتبة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م، ٣/ ١٨.

(٨٨) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٨٩) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ٢٠/ ٢٨٦.

(٩٠) سورة يونس، الآية (٩٩).

(٩١) تفسير الشعراوي ٢/ ١١١٢.

(٩٢) شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكه، دار الجيل–بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ص ٣٦٤.

(٩٣) والحوار مع أهل الديانات الأخرى واجبٌ شرعيٌ لوجوب الدعوة إلى الله تعالى، والتعريف بدينه وأخلاقياته، لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة النحل، اية (١٢٥). وكذلك وجوب الحوار لعلاج المشكلات التي تهدد الواقع بكل صورها وإزالة أضرارها، فالحوار وسيلة لواجبٍ، والقاعدة تقول: " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " (الأشباه والنظائر: تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٨٨/٢).

(٩٤) سورة سبأ، الآية (٢٤).

(٩٥) نداء مكة المكرمة،، ص ٢٧٦.

(٩٦)مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: مُحَمَّد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (ت ١٤٢٤هـ)، دار النفائس – بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ، ص ٦١.

(٩٧) نفس المرجع، ص ١٧٦.

(٩٨)انظر: نداء مكة: ٢٧٦.

(٩٩) سورة آل عمران، الآية (٩٣– ٩٤).

(١٠٠) سورة الجمعة، الآية (٦).

(١٠١) سورة الجاثية (٧– ٩).

(١٠٢) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(١٠٣) سورة النساء، الآية (١٥٢).

(١٠٤) انظر: مقاصد الشريعة بين المدارسة والممارسة: حسني خيري، دار اليسر، القاهرة، ١٤٤٢هـ– ٢٠٢١م، ص ٢٦٤.

(١٠٥)سورة يوسف، الآية (٧٦).

(١٠٦)انظر: تفسير المنار ١٤٣/١١، وانظر: التحرير والتنوير ١٩٢/٣.

(١٠٧)أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، ١٢٨/٢ رقم ١٤٩٦.

(١٠٨)الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ١٥/٥. وانظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، ١/ ٣٧٥، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام: أبو عبد الرحمن عبد الله البسام (ت ١٤٢٣هـ)، تحقيق: مُحَمَّد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م، ص ٢٩٧.

(١٠٩) سورة البقرة، الآية (١٣٦).

(١١٠) سورة آل عمران، الآية (٨٤).

(١١١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢/ ١٦٩.

(١١٢) سورة الأنعام، الآية (١٠٨).

(١١٣) انظر: تفسير المراغي٧/ ٢١٢.

(١١٤) انظر: مفاتيح الغيب ١٣/ ١١٠. وانظر: تفسير المنار ٢٥٨/٨.

(١١٥) انظر: مقاصد الشريعة بين المدارسة والممارسة: ص ٢٦٦.

(١١٦) نداء مكة المكرمة، ص ٢٨٢.

(١١٧) تفسير المنار ٢/ ٧٧.

****

المصادر والمراجع

١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢- الأشباه والنظائر: تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية- تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ط٢، ١٩٨٥م.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام: ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦- الإيمان والعمران: عبدالمجيد النجار، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثامن ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٧- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.

٨- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

٩- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٠- تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١.

١٢- تهافت التهافت: محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: سلمان دنيا، دار المعارف– القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م.

١٣- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام: أبو عبد الرحمن عبد الله البسام (ت ١٤٢٣هـ)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٧- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٨- شرح صحيح البخارى: لابن بطال (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٩- شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكه، دار الجيل–بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢٠- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

٢١- الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، عالم الكتب.

٢٢- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٣- قضايا في الفكر المعاصر: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٢٤- قواعد التعايش السلمي مع غير المسلمين كما يقررها القرآن الكريم ومصير أعمالهم الصالحة في الآخرة: د. زينب عبدالسلام أبو الفضل، دار الكلمة، ١٤٤٣هـ–٢٠٢٢م.

٢٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي الهيثمي، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.

٢٦- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (ت ١٤٢٤هـ)، دار النفائس – بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ.

٢٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٢٨- المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٣٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣١- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٣٢- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٣- مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٣٤- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: القرطبي؛ أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي ، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٥- مقاصد الشريعة بين المدارسة والممارسة: حسني خيري، دار اليسر، القاهرة، ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م.

٣٦- المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، محمد رفيع ، مجلة إسلامية المعرفة، مجلد ١٧، العدد ٦٦، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣٧- نداء مكة المكرمة: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، السنة الحادية والعشرون، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، العدد الرابع والعشرون.

٣٨- النظر الشرعي في بناء الائتلاف: دراسة تأصيلية تحليلية، محمد رفيع، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

وبالله التوفيق،،